هناك أحزاب شيوعية تصنع الثورة ، وافرى تتقن الاستحذاء للبورجوازيّة والركوع على اعتاب أنظمتها !

فاذا اخذنا بنظر الاعتبار ان البلدان الراسمالية الاخرى تعيش اوضاعا مشابهة اذ بلغ عدد العاطلين في بريطانيا اكثر من مليون وكذلك في المانيا الغربية الامر الذي جعل المواطنين الالمان يهاجرون الى المانيا الديمقراطية ، بعد ان كانوا يهاجرون منها الى المانيا الغربية ... اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان البلدان الراسمالية الاخرى تعيش حالة مشابهة للحالة التي تعيشها زعيمة الامبريالية العالمية، واذا اخذنا بعين الاعتبار كون الارقام الرسمية لا تمثل الحقيقة كلها ، لان الاحصاءات الرسمية التي تقوم بها الحكومات البورجوازية غالبا ما تتخذ وسيلة لاخفاء الحقائق بغية تخفيف حالة القلق التي تساور الغالبية العظمى من السكان من جراء انعدام فرص العمل وتفشي البطالة والفقر بين صفوف جماهير الشغيلة .. اذا اخذنا ذلك بنظر الاعتبار ، فاننا سندرك مدى التفاقم الذي تعيشه الراسمالية المعاصرة .

فاذا تجاوزنا هذه الحالة التي تعيشها البلدان الراسمالية المتطورة ، ووقفنا ، على سبيل المثال وليس الحصر ، امام الحالة المزرية التي تاخذ بخناق الولايات المتحدة الاميركية من جراء انتصار الثورة الاشتراكية في كمبوديا والفيتنام وسائر ارض الهند الصينية، حيث سقط نظام العملاء الرجعي وسيطرت قوات الثورة على عاصمة كمبوديا بنوم بنه ، وبعد ان شارفت الثورة في فيتنام على احراز الانتصار التام وطرد العملاء الرجعيين وتحرير الفيتنام من نظامهم الرجعي القذر ... اذا وقفنا امام هذه الحالة وحاولنا ان نسجل اهم الحقائق التي يشير اليها انتصار الثورة هناك ، فماذا يمكن ان نسجل؟

● اولا ـ ان انتصار الثورة الكمبودية والفيتنامية يعتبر انتصارا باهرا للثورة الاشتراكية العالمية التي تقودها الطبقة العاملة وحلفاؤها الفلاحون وسائر الذين لهم مصلحة في انتصار الثورة . وبالتالي فهو دليل على ان الاشتراكية العلمية ، في صعود وان الراسمالية ـ الامبريالية في تدهور وهبوط ، وهذا الامر يؤكد طبيعة العصر على انه عصر الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية، وان الطبقة العاملة العالمية وطليعتها المعسكر الاشتراكي هي التي تقف في مركز العصر وتقرر محتواه الرئيسي وتحدد الاتجاهات الاساسية لتطوره وليست الطبقة البورجوازية ونظامها الاجتماعي المتداعي !

لقد استخرج الشيوعيون من انتصار ثورة اكتوبر وقيام نظام الطبقة العاملة الاجتماعي ـ الاشتراكي في سدس الكرة الارضية ، برهانا على ان عصرا جديدا بدا يبزغ على البشرية ، بزوغا سوف ياخذ معه عصر الامبريالية بالزوال والافول ، بيد ان الفلاسفة البورجوازيين رفضوا هذا الاستنتاج وقالوا العكس وحمدوا الله على ان البورجوازية ونظامها الراسمالي العالمي بخير !

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعلى وجه التحديد في عام ١٩٤٧ قام المعسكر الاشتراكي ، واتسعت الارض الاشتراكية ، وعادت من جديد المناقشات حول طبيعة العصر واي الطبقات تقف في مركزه ، فقد وجد الماركسيون اللينينيون ، ان قيام المعسكر الاشتراكي وانتصار الثورة البروليتارية على النطاق العالمي ، دليلا على صحة استنتاجهم القائل بان هذا العصر لم يعد عصر الامبريالية ، غير ان الفلاسفة البورجوازيين والعديد ممن يدعون الماركسية ـ اللينينية ، اصروا على العكس وقالوا ان الاتحاد السوفياتي ومعه الشيوعيين استغلوا الحرب العالمية الثانية ووسعوا نفوذهم، واستخلصوا من ذلك دليلا على ان الاشتراكية ليست هي الاتجاه الحتمي لحركة التطور التاريخي للبشرية جمعاء !

وجاءت ثورة كوبا ، وتجيء اليوم الثورة في كمبوديا والفيتنام لتفند بوقائعها العملية ، كل مزاعم البورجوازيين ، وتؤكد على ان عصرنا هذا هو عصر الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، انه عصر انتصار الشعوب التي تقودها الطبقة العاملة !

● ثانيا ـ ان الذي يحدث اليوم على ارض الهند ـ الصينية ، ليس انقلابا عسكريا، يقوده هذا الضابط او ذاك ، وانما هي ثورة تقودها الجيوش الشعبية بمختلف فصائلها النظامية والمقاومة الشعبية في آن معا ، انها ثورة كل الشعب الكادح بمختلف طبقاته الوطنية الثورية .

من هنا يستنتج ان الانتصار الذي يتحقق اليوم، يعطي البرهان لكل الذين ما يزالون غير مقتنعين بعد، بان جماهيرنا العربية قادرة على ان تفعل ما يفعله الكمبوديون والفيتناميون لو توفرت لها قيادة كالقيادة التي تقود الثورة هناك !

ان اختلاف الظروف ، بين واقعنا والواقع الفيتنامي او الكمبودي ، يصبح ذريعة لاخفاء العجز والترهل ، حينما يتحول الى حجة لرفض الثورة واستبدالها بالاستكانة واحلال النهج الثوري محل النهج الاصلاحي المميت . ان اختلاف ينبغي ان يدفعنا للبحث عن وسائل واساليب مناسبة نتوسل بها من اجل انضاج الظروف الملائمة للثورة واستمرارها حتى تحقق انتصارها التام والناجز ، ولا يصح ان نتخذ منه حجة تخفي انغماسنا في مستنقع التعاون الطبقي مع الرجعيين واستجداء الامبرياليين ليضغطوا على اسرائيل لكي تنسحب من ارضنا التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، مقابل تنازلنا عن فلسطين المغتصبة للحركة الصهيونية !

ان استيعاب هذا الدرس ينبغي ان يدفع الى مناهضة التسوية السياسية ومعارضة كل الزاحفين على بطونهم لكي يلعقوا « جزمة » كيسنجر وراين !

ان دعاة التسوية ـ الخيانة ، لهم ان يتواروا اليوم عن الانظار خجلا لعلهم يرعوون عن غيهم وتماديهم في الضلوع بركب الاستسلام !

● ثالثا ـ ان الوفاق الدولي ما يزال قائما ومع ذلك فان الثورة في الهند الصينية تنتصر !

من هنا ينبغي ان يستنتج خطا ارجاع ما يحدث في منطقتنا الى الوفاق الدولي كلية لان الثورة عمل داخلي رغم ارتباطه في الاوضاع العالمية. ان العوامل الداخلية هي التي تقرر جوهر الشيء ومضمونه اما العوامل الخارجية فهي عوامل مساعدة .

ان الدور الكبير الذي تلعبه دول الوفاق هنا لا يعود الى قوة هذه الدول ، بقدر ما يرجع اساسا الى طبيعة الفصائل القائدة لحركة التحرر العربية البورجوازية التي اصبحت على درجة من الترهل ، جعلتها عاجزة عن الاستمرار في تحدي الامبريالية للدرجة التي عليها الثورة في كمبوديا والفيتنام ، اذ طالما ان الاحزاب الشيوعية العربية ترفع راية « السلام » و « انقاذ الانظمة من الفتن الداخلية »! فكيف يمكن ان تتمكن حركة التحرر العربية من تكرار ما حدث وما يزال يحدث هناك في ارض الثورات التي تقودها الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية ؟

ان سياسة الوفاق الدولي تلعب دورها السلبي هنا لان حركة التحرر العربية مستسلمة للامر الواقع الذي هو واقع فاسد لدرجة فقد معها مضمون واقعيته ، واصبح الالتزام به خضوعا للفساد نفسه !

الطبقة العاملة العربية ... والاتجاهات التي تتنازع الحركة الاشتراكية للبروليتار العالمية

ان الطبقة العاملة العربية ، مطالبة بان تقف امام العديد من الموضوعات، وخاصة القضيتين التاليتين:

■ اولا : قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية :

ان قيادة الطبقة العاملة للثورة الوطنية الديمقراطية في المستعمرات واشباه المستعمرات مسالة لا تكتسب ضرورتها من حاجة الثورة في القارات الثلاث الى القيادة البروليتارية لكي تستطيع الثورة الوطنية الديمقراطية بلوغ نهاياتها الحاسمة التي تنقلها الى الثورة الاشتراكية ، فحسب بل ان الثورة الاشتراكية في البلدان الراسمالية هي الاخرى تحتاج اليها على ما يبدو . ذلك ان تصفية الاستعمار على الصعيد العالمي ستتيح فرصة اوسع للطبقة العاملة في البلدان الراسمالية لاحداث الثورة الاشتراكية في بلدانها .

صحيح ان المهمات المطروحة على الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية المتطورة ذات طبيعة متقدمة على طبيعة المهمات المطروحة على الطبقة العاملة في بلدان القارات الثلاث بحكم كون الثورة التي ينبغي على الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية المتقدمة ، احداثها ، هي ثورة اشتراكية تاخذ على عاتقها مهمة بناء مجتمع الطبقة العاملة الاشتراكي على انقاض المجتمع الرأسمالي القائم حاليا ، بينما الثورة التي ينبغي على الطبقة العاملة في البلدان المتخلفة القيام بها هي ثورة وطنية ديمقراطية ومهمتها الرئيسية هي ايجاد القاعدة المادية والتكنيكية للثورة الاشتراكية ، التي لا يمكن ان تتحقق بدون توفر هذه القاعدة المادي والتكنيكي .. صحيح ، هذا كله ، ولكن هذا لا يعني فان الثورة التي تفجرها بروليتاريا البلدان الراسمالية المتقدمة ، ستكون ثورة ذات طبيعة متقدمة عشرات السنين على طبيعة الثورة في بلداننا ، ولكن هذا الامر لا يتعارض امام الحقيقة التي تقول بان الثورة الاشتراكية في روسيا وفي الصين وفي العديد من بلدان اوربا واسيا التي هي بلدان متخلفة جدا بالقياس الى بلدان القارات الصناعية ، وان بلدان المعسكر الاشتراكي اليوم بفضل الطبقة العاملة وبفضل قيادتها للثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال بها الى الثورة الاشتراكية ، من جهة وفضلا عن هذا كله فاننا لا نجهل او نتجاهل الاثر الكبير والهام الذي يحدثه نضال البروليتاريا الصناعية في البلدان الراسمالية ، اذ ان نضالها على اصلاحيته وعدم ثوريته ، يزعزع الى حد كبير من اركان السلطة البرجوازية في البلدان المتخلفة ، ويساعد على تفاقم ازمة الراسمالية العامة كثيرا جدا ، بيد ان الفرق يكمن في كون الطبقة العاملة في البلدان المتخلفة مجبرة على اللجوء الى العنف المسلح وحشد سائر الجماهير الكادحة لخوض غمار الكفاح المسلح واحداث الثورة . اي ان الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين يؤدون مهمات اصعب بما لا يقاس من المهمات التي يؤديها رفاقهم في البلدان الراسمالية ، فهم يناضلون من اجل نقل بلدان تقف في ادنى درجات سلم التطور الى مستوى الثورة الاشتراكية ، واذا اخذنا بنظر الاعتبار ظاهرة عجز البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، سواء تلك التي اتبعت طريق التطور الراسمالي او التي اتبعت طريق التحولات الاجتماعية الموجهة من قبل راسمالية دولتها ... نقول اذا اخذنا بنظر الاعتبار ظاهرة عجز البرجوازية عن تحقيق التقدم في حياة شعوبنا، وان اوسع الجماهير باتت تدرك هذه الظاهرة ، فاننا نستطيع ان نقول بان دور الطبقة العاملة في البلدان المتخلفة سوف يزداد اهمية وتاثيرا ، اذ ستكون دورها ، كما اسلفنا : ان تقضي على الوجود الاستعماري نهائيا ، وان تحرر بلداننا من التبعية اقتصادية والارتباط التبعي بالسوق الراسمالية العالمية من جهة ، وان تربط بلداننا مع بلدان المعسكر الاشتراكي مصيريا من جهة ثانية وان تدعم كما شان البلدان الاشتراكية نضال البروليتاريا في البلدان الراسمالية من جهة ثالثة .

ولكي ندرك هذه الاهمية لدور الطبقة العاملة في بلدان القارات الثلاث ، علينا ان نتذكر الدور الكبير الذي لعبته حركات التحرر في الفترة الماضية ، ولولا انها خضعت في العديد من البلدان لقيادة البرجوازية، التي انحرفت بالثورة عن مسارها الطبيعي ، اي لو ان حركات التحرر الوطني بغير البلدان الاشتراكية ، كانت بقيادة الطبقة العاملة لاستطعنا ان نقول ، ان الامبريالية اليوم تشرف على ان تصبح في خبر كان . ذلك ان الغالبية الكبرى من بلدان القارات الثلاث قد حققت استقلالها السياسي ... بيد ان طبيعة قياداتها البرجوازية افرغت هذا الاستقلال من مضمونه الوطني التقدمي .

ان الطبقة العاملة التي اقامت اول ثورة اشتراكية في العالم ، والتي صمدت بوجه الامبرياليين وتمكنت من اقامة نظامها العالمي في مدى ثلاثين سنة ، لهي قادرة على دق اسفين نهاية الراسمالية العالمية ، وسوف تشهد سنوات هذا القرن تحقيق هذه المهمة المشرفة ، التي تستحق طبقتنا العاملة الثائرة ان تحمل وسام تحقيقها !

وعلى العموم فان هذه الموضوعة قد اكدتها طبيعة التطور وحتميته ، فمنذ ان تحولت الراسمالية القديمة الى امبريالية ، وبدات بتصدير الرساميل الى المستعمرات ، ثم اتمت اقتسام العالم، ودخلت في صراعات من اجل حيازة المستعمرات دفعتها الى خوض الحرب العالمية الاولى ، التي ايقظت شعوب المستعمرات وفتحت عيونها على جرائم الامبرياليين ووحشيتهم انفتاحا تصاعد معه كفاحها الوطني التحرري ، تصاعدا تحفزه وتهديه الشعلة التي اوقدتها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ...

منذ ذلك التاريخ ، وبسبب الحرب العالمية الاولى وثورة اكتوبر الاشتراكية المجيدة ، فقد اصبحت الثورة الوطنية الديمقراطية البرجوازية ثورة محكومة باتجاهها الحتمي المتمثل في الاشتراكية ، والمرتبط بقيادة الطبقة العاملة وايديولوجيتها الماركسية اللينينية .

■ ثانيا : الاتجاهات التي تتنازع حركة الطبقة العاملة العالمية

عندما يسمع العامل العربي ، انباء انتصارات الثوار في كمبوديا والفيتنام ، وعندما يقارن بين ما يتحقق هناك وما يحدث هنا ، في وطننا العربي لا بد ان يتساءل عن السبب الحقيقي وراء ذلك كله ، ولست اشك في ان الجماهير العربية بصورة عامة وجماهير الطبقة العاملة العربية على وجه الخصوص، يدركون ، ان السبب يرجع اساسا الى الفارق النوعي بين طبيعة الستراتيجية والتكتيك في كمبوديا والفيتنام والاستراتيجية والتكتيك المتبعين هنا وخاصة في مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية . اذ ليس هناك شعوب شجاعة واخرى جبانة وانما هناك قيادات وقيادات . وعندما تتوفر القيادة الثورية حتى النهاية ، لشعب ما فانه سيلعب دورا ثوريا بكل تاكيد !

ان جماهيرنا العربية مطالبة بان تدرك خطورة النهج الذي تتبعه القوى المستسلمة على مستقبلها ومصير ثورتها .

ان من يتذكر الاحداث التي سبقت قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، ويتذكر الدور النشيط والمؤثر والقائد للاحداث الذي لعبه حزب البلاشفة بقيادة لينين ، في بطرسبرغ ضد عصابة كورنيلوف، والذي ما كان بوسع البلاشفة ان يلعبوه لو لم يكونوا مهيئين ومستعدين لادائه ... ان من يتذكر ذلك الدور ، يدرك انه مكنهم من تفجير الثورة بنجاح ، ولولاه ، لربما تاخر قيام ثورة اكتوبر ، وكان ممكنا جدا ان تضيع الفرصة وتمر دون حدوث الثورة بنجاح .

اقول هذا الكلام لكي اجلب الانتباه الى ان مسالة صنع الثورة ، مسالة ستراتيجية وتكتيك ثوريين ، ولا يمكن ان تكون شيء اخر !. ومن لا يدرك هذه البديهة ، فعليه ان يفسر لنا السبب الذي يجعل احزابا شيوعية تقود عملا ثوريا ، كما حدث في روسيا والصين وكوريا وسائر البلدان الاشتراكية ، وكما يحدث اليوم في الفيتنام وفي كمبوديا وغيرها من بلدان الهند ـ الصينية ، بينما نلاحظ احزابا شيوعية اخرى من نمط اخر لا تتجاوز في فعلها حدود الاستخذاء للبورجوازية والركوع على اعتاب انظمتها ، طالبة السماح لها بالعمل العلني ، مبدية حرصا شديدا على الظهور بمظهر مقبول من قبل البرجوازية !

كيف نفسر مثلا سقوط الثورة في تشيلي رغم وصول الشيوعيين وحلفائهم للسلطة ، والامر نفسه، هو تكرار لما حدث في بعض بلداننا العربية كالعراق في اواخر الخمسينات مثلا ؟

كيف يمكن ان نفسر بغير الفارق النوعي بين طبيعة الاستراتيجية والتكتيك ، بين هذا النمط من الاحزاب الشيوعية وذاك ، بين هذا النمط من حركات